مجلة العلوم التربوية والنفسية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٣٢٧-٣٦٨، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

التأصيل الإسلامي لركائز التدريب

د. عايش بن عطية بن عبدالمعطي البشري
قسم الدورات التدريبية
المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
جامعة أم القرى

ملخص البحث. ارتبط التدريب المثمر بزيادة الجودة والإتقان واكتساب المعلومة بشكل سريع، ويعمل على نقل الخبرات بطريقة ممتعة، وهو وسيلة نافعة وفاعلة ومؤثرة في أوساط المتدربين من أقدم العصور.

وبناءً عليه، فقد حرصت الأمة المسلمة – عبر العصور– على تدريب أفرادها في شتى الفنون والمجالات، بما يتفق مع ثوابتها أو يخالفها، بدون نقد أو تمحيص لهدف التدريب أو المغزى منه أو الطريقة و الأسلوب الذي وصل به، وقد تطرقت الدراسة الحالية إلى مجموعة من الركائز المهمة المرتبطة بعملية التدريب والإسهام في تأصيلها، ومنها:

أولاً: البيئة الداعمة للتدريب.
ثانياً: التواصل الفعال.
ثالثاً: التكرار والمتابعة.
رابعاً: توظيف لغة الجسم.
خامساً: الاستفادة من الخبرات المتاحة.
سادساً: الممارسة والتطبيق العملي.
سابعاً: توظيف الوسائل التعليمية.

وتمَّ استخدام المنهج الوصفي الوثائقي و المنهج الاستنباطي، ومن أبرز نتائج الدراسة:
يبقى القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين للإفادة منها في كل المجالات والعصور.

اعتمد رسول الله ρ على التدريب كوسيلة مؤثرة، أسهمت في تعزيز توجيهاته المباركة، وتطبيقها في واقع حياة الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من المسلمين إلى قيام الساعة.

التدريب من أهم المجالات التي يجب أن تهتم بها جهود المشتغلين بالتأصيل الإسلامي، لأهمية هذا المجال، وكذلك تعدد الشواهد التي تدعمه من القرآن الكريم والسنة النبوية.

التوصيات:

ضرورة عقد مؤتمرات متخصصة لمناقشة موضوع: تأصيل التدريب، بمشاركة الجهات المختصة بالتدريب في العالم الإسلامي.

تعزيز التدريب في المؤسسات الحكومية والخاصة، وربطه بكل ما يقربه من الكتاب والسنة المطهرة.

تشكيل مؤسسات علمية بحثية إسلامية للإشراف على جهود التأصيل الإسلامي للعلوم وتصنيفها حسب العلم والمجال الذي تخدمه، بقصد التخصص والتراكمية العلمية وعدم هدر الجهود المبذولة سابقاً.

مقدمة الدراسة

يشكل التدريب أهمية كبرى لدى المجتمعات الباحثة عن التطوير، والساعية نحو الأفضل، فهي تولي هذا الأمر جُلَّ عنايتها واهتمامها، لأنه يفتح لها آفاق المستقبل، ويسهم في تنمية كوادرها البشرية وتحسين آدائها، لتبلغ أهدافها المرسومة، فالتدريب يساعد على اكتساب معلومات جديدة، ويسهم في التوظيف الأمثل للتقنية، وزيادة الثقة بالنفس، وتنمية جوانبها المختلفة (الشريف،١٤٢٩هـ، ص٢٦-ص٢٨).

والمتأمل في شأن التدريب وتأثيره في المتدربين، يجد تأثيره يتجلى في ثلاثة محاور:

المحور الأول: المعارف، وهي من أسهل أنواع التدريب، ولا تحتاج وقتاً طويلاً لعملية التغيير.

المحور الثاني: المهارات، وهي تأتي بعد المعارف، وتحتاج وقتاً ومجهوداً أكبر للتغيير.

المحور الثالث: السلوكيات والاتجاهات، وهي من أصعب مراحل التدريب، ذلك أن التدريب فيها يحتاج وقتاً أطول، وإلى برامج وخبرات تراكمية في التدريب. (العامري،١٤٢٩هـ، ص١٩).

وقد ارتبط التدريب المثمر بزيادة الجودة والإتقان واكتساب المعلومة بشكل سريع، ويعمل على نقل الخبرات بطريقة ممتعة، وهو وسيلة نافعة وفاعلة ومؤثرة في أوساط المتدربين من أقدم العصور.

وتزداد حاجة الأمة الإسلامية للتدريب في شتى المجالات النظرية والتطبيقية، وذلك باستخدام أساليب وطرائق التدريب العملي القائم على أسس ومنطلقات صحيحة، وتراثنا الإسلامي زاخر بالعديد من نماذج التدريب الفاعل، التي حققت درجات عالية من الرقي والتميز في العصور الزاهرة.

وفي العصر الحاضر، سنكون أكثر استفادة من التدريب، إذا وظفنا تراثنا الزاهر مع الحاضر الزاخر بالعلوم والمعارف والخبرات، وذلك باستخدام الأساليب التدريبية المنوعة، مع الحرص على النافع المفيد من تجارب الأمم المنتجة، وهذا يتطلب الإعداد الجيد للمدربين الأكفاء، الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة في فنون وأساليب التدريب، ويعملون

– جاهدين – على النهوض بمجتمعاتهم، عبر نقل العلوم والخبرات المفيدة، وتدريب أبناء المسلمين عليها، مع الحرص على تطوير أنفسهم باستمرار...

وبناء على ما سبق ذكره من أهمية التدريب وعلو شأنه، فقد اتجهت الأمة المسلمة لتدريب أفرادها في شتى الفنون والمجالات، فأخذت من الشرق والغرب، ومن القديم والحديث، ومما يتفق معها أو يخالفها، بدون نقد أو تمحيص لهدف التدريب أو المغزى منه أو الطريقة و الأسلوب الذي وصل به...

ومن هنا انطلقت الدراسة الحالية، بهدف المساهمة والمشاركة في تأصيل التدريب وربطه بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة في اعتماد الأمة الإسلامية على المناهج الغربية، والإذعان لها دون نقد او تمحيص، والحقيقة " إن مناهج العلوم الإنسانية في صورتها الحالية هي بحقٍ إنتاجٌ غربيٌ مُرتبطٌ أشد الارتباط بالتاريخ الثقافي للغرب، يُعبر عن خصوصياته ومُشكلاته الفكرية، وقد كان تسُرب هذه المناهج إلى جامعات ومراكز البحث العلمي في العالم الإسلامي أمراً تفرضه الحاجة نتيجة الفراغ العلمي مع شدة الحاجة إلى التجديد؛ فكان لا بُد من استيراد العلوم الغربية أو استيراد مناهجها الجاهزة بدون تعديل أو تغيير"(أمزيان، ١٤١٧هـ، ص٢٠٣)

ونظراً لبروز التدريب في الغرب في منتصف القرن الميلادي الماضي كعلم متخصص له أهدافه وسماته ومجالاته ومؤلفاته ووسائله واتجاهاته ونظرياته المختلفة، وباعتبار التدريب أحد منطلقات التنمية البشرية في العصر الحديث، فقد شجع ذلك الدعوة إلى أسلمة العلوم وتأصيلها وربطها بدين الإسلام ومصادره العظيمة، وبناء على ذلك نادى العديد من المفكرين المسلمين بوجوب تأصيل العلوم والدراسات الاجتماعية والإنسانية، من أجل تقديم معرفة مسترشدة بالوحي من جهة،ومؤمنة بقدرة الفرد المسلم على الفكر والعطاء الإنساني في مختلف المجالات.

وقد ظهرت في بداية القرن الهجري الحالي العديد من الدعوات المنادية لتأصيل العلوم عامة والعلوم الاجتماعية خاصة، والدعوة لأسلمتها وتوجيهها إسلامياً، ثم تحولت هذه الدعوات إلى أبحاث وأوراق عمل، تعقد لها الندوات والمؤتمرات، وأصبحت هناك بعض الجهات المتخصصة في هذا الجانب، كالمعهد العالي للفكر الإسلامي...

ومن تلك المؤتمرات: مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية (١٤١٣هـ)، و مؤتمر " أسلمة العلوم من منظور متعدد" المقام في الجامعة الشافعية الإسلامية بجاكرتا (٢٠١٢م).

وكذلك لمركز التأصيل للدراسات والبحوث (جدة: المملكة العربية السعودية) فعاليات واهتمام بهذا الجانب المهم، " وكان من ثمار ذلك ظهور العديد من الكتابات الجادة، التي لقيت اهتماماً كبيراً، وكان لها أثر واضح لدى قطاعات عريضة من المشتغلين بمختلف فروع العلم – بحثاً وتدريساً وطلباً- في كل أرجاء العالم الإسلامي" (رجب، ١٤١٢هـ، ص٢١). وقد تطرقت في أبحاثها للعديد من جوانب المعرفة الإنسانية من خلال الأبحاث والمحاور التي تطرقت للبحث فيها، ولم تمنح موضوع تأصيل التدريب أهمية كبيرة.

ومن يبتبع تعامل الجهات ذات الاهتمام بالتأصيل،- سواء منظمات أو أفراداً- يجد فرقاً في التعامل مع النصوص الشرعية المؤيدة لتوجههم، فالكثير يستند على النص الشرعي بعد الرجوع لمصادره الصحيحة ومظانه المعتمدة، والبعض همه الأول إيراد النصوص على قضيته، سواء انطبق عليها الدليل أم لم ينطبق !!

وهذا يؤدي إلى تطويع النصوص الشرعية لاتجاهات معينة أو تحميلها ما لا تحتمل، أو تقديم الآراء الشخصية وصبغها بصبغة الإسلام، أو محاولة فرض بعض الأفكار الجديدة على الإسلام ومحاولة إيجاد بعض الشواهد الشرعية عليها لتجد قبولاً عليها لدى الجمهور...

والحقيقة إن جهود التأصيل الإسلامي للعلوم أشعرت الأمة المسلمة بأهمية الرجوع لمصادر الوحي، باعتبارها منهلاً صافياً ومنجماً عظيماً، وأسهمت في عودة المشتغلين بهذا الاتجاه للقرآن الكريم والسنة المطهرة

ومحاولة ربط العلوم بهما، وأوجدت شعوراً عاماً بالاعتزاز بالدين الإسلامي لدى كافة فئاته وأطيافه.

والدراسة الحالية تسعى لإبراز التأصيل الإسلامي لركائز التدريب، بعرض الشواهد الشرعية عليها من: (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، وكيفية توظيفها في مجال التدريب المعاصر.

أهمية الدراسة

بقصد تحقيق نظرة شمولية وربط كل العلوم والمعارف بدين الإسلام وتصوراته العظيمة، ظهرت المناداة بتأصيل العلوم في خطوة لاحقة بعد أسلمة العلوم، وأغلب المهتمين بهذا المصطلح من ذوي الاهتمام بالعلوم الشرعية، ولهذا يغلب على رؤيتهم أن الإصلاح يبدأ من الكتاب والسنة ومن المصادر الإسلامية المعتبرة...

ونظراً للحاجة إلى تأصيل التدريب وربطه بمنطلقاته في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد دعت الحاجة للبحث عن ذلك في المصدرين الباقيين إلى قيام الساعة (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، والمتأمل فيهما يجد بهما العديد من الدعوات والشواهد والأمثلة.

وبذلك يهدف التأصيل أن يصبح "العلم الإسلامي علماً إصلاحياً إعمارياً توحيدياً أخلاقياً راشداً "(أبو سليمان،١٤١٦هـ، ص٤٨) وسنتطرق في هذه الدراسة إلى مجموعة من الجوانب الحيوية المرتبطة بعملية التدريب وتأصيلها من منظور التربية الإسلامية، وتتجلى أهمية الدراسة في جوانب عدة، من أبرزها:

١- الربط بين التوجهات المعاصرة والتأصيل الإسلامي للعلوم والمعارف.

٢- تحديد أطر وركائز التدريب الحديث من المنظور الإسلامي.

٣- إبراز التطبيقات التربوية للتدريب في ضوء التأصيل الإسلامي.

أهداف الدراسة

تتجلى أهداف الدراسة في عدة جوانب، منها:

١- ربط حاضر الأمة الإسلامية بماضيها في إعادة الأصالة في البحث العلمي وربطه بأصوله في دين الإسلام.
٢- التركيز على المعرفة التي تصدر عن الوحي السماوي، وتتصل بكل صحيح ونفيس من السنة المطهرة.
٣- الإسهام والمشاركة في الجهود المبذولة لتأصيل العلوم تأصيلاً إسلامياً، بإبراز المهارات والمعارف التي سبق الإسلام غيره في الاهتمام بها وتوظيفها والاستفادة من تطبيقاتها في الحياة المعاصرة.
٤- إبراز العلاقة بين التدريب والقرآن الكريم والسنة المطهرة، بالتأكيد على انطلاقه من رحابهما المباركة.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن السؤال الرئيس لها، وهو:
ما هو التأصيل الإسلامي لركائز التدريب الحديث ؟ ويتفرع عنه ما يلي:
س١: عدد بعض الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية المرتبطة بمجال التدريب ؟
س٢: ما أبرز التطبيقات للشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مجال التدريب المعاصر؟

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الوثائقي و المنهج الاستنباطي، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير والسنة النبوية بالبحث والتدقيق لما يتعلق بموضوع الدراسة، ثم استنباط شواهد تعزز وجود ركائز التدريب في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتأكد من تطابق الشواهد مع مواقف التدريب المعاصر.

مصطلحات الدراسة

ترتبط الدراسة الحالية بالمصطلحات التالية:
١- **التأصيل**: وله العديد من التعريفات، فقد عرفته لجنة التأصيل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التأصيل الإسلامي بأنه " إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم من خلال جمعها واستنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية ، وضوابطها العامة ودراسة

موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة وتستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمين وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لا تتعارض مع تلك الأسس "(الصبيح، ١٤٢٨هـ، ص٤٦٩-٤٧١)

ويقصد به " جعل الإسلام ومنهجه وتصوراته الكبرى بمثابة " الأصل "، الذي ترد إليه العلوم في منطلقاتها ومنهجياتها ونظرياتها، مع الإفادة من إسهامات السابقين من علماء المسلمين، بالقدر الذي ثبتت به لبعض أعمالهم قيمة علمية مستمرة إلى اليوم، دون صدود عن إسهام المعاصرين من غير المسلمين، ما دام قابلاً للاندماج في منظومة التصور الإسلامي، بشكل أصيل ودون تعسف" (رجب، ١٤١٢هـ، ص٢١)، وأيضاً، هو " إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم، من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم على ضوئها، مع الاستفادة مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم، مما لا يتعارض مع تلك الأسس"(رجب، ١٤١٢هـ، ص٣٣)، ويعرف بأنه " بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام " (يالجن،١٤٢٥هـ، ص٣٦).

ومن خلال ما سبق، يعرف الباحث التأصيل إجرائياً، بأنه: ربط ركائز التدريب الحديث بمنطلقاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك باستحضار الشواهد الملائمة لذلك وتوظيفها في مجال التدريب بشكل مناسب.

٢- **التدريب**: ويقصد به:" نقل معرفة ومهارات محددة وقابلة للقياس" (ويلز،١٤٢٦هـ، ص٤١).

وكذلك، هو" نشاط مخطط، يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة من ناحية المعلومات والخبرات والمهارات ومعدلات الأداء وطرق العمل والاتجاهات، مما يجعل هذا الفرد أو تلك الجماعة لائقة للقيام بأعمالها ".(العزاوي، ٢٠٠٦م، ص١٣)، وتمَّ تعريفه بأنه: " عملية مستمرة داخل المنظمة، لتزويد المتدربين بالمعارف والمهارات اللازمة للقيام بعملهم اليوم وفي الغد المتطور ولمحاولة التغيير في سلوكياتهم واتجاهاتهم " (العامري،١٤٢٩هـ،ص١٨)

ويعرِّف الباحث التدريب بأنه: مجموعة من الأنشطة الهادفة والمنظمة والمخطط لها مسبقاً، بقصد إحداث تغيير إيجابي في الفكر والسلوك، واكتساب مهارات ومعارف وخبرات جديدة، تسهم في تطوير أداء الفرد للأفضل.

٣- **تأصيل التدريب في القرآن الكريم والسنة النبوية:** ويقصد به الباحث: البحث عن النصوص والشواهد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المرتبطة بركائز التدريب، ثمَّ الرجوع لكتب التفاسير والشروحات الصحيحة للسنة النبوية، لبيان الكيفية المناسبة لتوظيفها توظيفاً صحيحاً في مجال التدريب المعاصر.

أهم ركائز التدريب الحديث وتأصيلها من القرآن الكريم والسنة المطهرة

في العصر الحديث ظهر الاهتمام بالتدريب، باعتباره من العوامل المهمة لتعزيز الحضارة المادية وإبراز سيطرتها وامتداد نفوذها، بل وأصبح من أهم الوسائل الفعالة لإتقان الحضارة والتقنية واستيعابها، والوصول للأهداف وتحقيقها.

والتدريب المنظم الناجح يقوم على العديد من الركائز المهمة، التي تسهم في فاعليته وتحقيق الاستفادة منه، وفي هذه الدراسة، سنركز على مجموعة من ركائز التدريب الحديث، ثم تقديم العديد من الشواهد والمواقف من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تبين وجودها في في دين الإسلام، كمساهمة في تأصيلها، لأهمية هذا الأمر، وضرورة ربطه بالمنهج الصحيح عند الأخذ منه أو الإعراض عنه، ومن أبرز هذه الركائز، ما يلي:

أولاً: البيئة الداعمة للتدريب: يفضل أن يكون مكان التدريب مناسباً ومريحاً، بتوفر المساحة الكافية والإضاءة الجيدة والأجواء المناسبة، ليساعد المتدربين على التركيز في التدريب، وأيضاً لابد من اختيار التقنية المعينة والمناسبة لأوساط المتدربين، فاختيار المكان المناسب أدعى لبلوغ الرسالة على الوجه الأكمل، قال تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) (الحج:٢٧) ورد في تفسيرها " أي ناد في الناس

بالحج، داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم ؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا، وقيل على أبي قبيس " (ابن كثير، ١٤٣٢ه،ج٣، ص ٢٠٥).

وقد كان رسول الله ρ يختار المكان المناسب للخطاب وإعلام الناس، ففي أوّل خطبة علنية بمكة صعد جبلاً وأعلن لقريش البلاغ العامّ لَمّا أمره الله به، والإنذار لهم من وعيد الله تعالى إن استمروا على الكفر والضلال، فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالاَ:(لَمَّا نَزَلَتْ: (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٢١٤) قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ρ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ فَعَلا أَعْلاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَى:(يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ، إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ: يَا صَبَاحَاهْ).(مسلم، صحيح مسلم، حديث: ٣٠٦)،فهذه أعلى وسيلة في ذلك العصر، وكانت قريبة من المدعوين.

يقول (ثابت، ١٤١٧هـ،ص١٥٧) في نجاح هذه الوسيلة ومناسبتها لذلك العصر أو الموقف: " إذا كانت المقاصد حسنة والغايات سامية، فإن ذلك يتطلب اختيار الأسلوب المناسب، والأكثر فاعلية في عملية الإقناع، ولعلّ ذلك هو سبب اختيار الرسول ρ أعلى وسيلة في عصره ومجتمعه، وهو الصعود إلى الصفا عندما قال خطبة الصفا؛ وذلك طلباً لتوسيع دائرة الاتصال لمخاطبة أكثر عدد ممكن من الناس، ولَفْت انتباههم ".

وبذلك يظهر لنا أن تغيير أحوال الناس من الأسوأ إلى الأحسن يتمّ وينجح إذا استخدمت أساليب معينة على التأثير والتغيير، ومواقف النبي ρ المتعدِّدة والمختلفة تؤيد ذلك، سواءً مع الكفار أو المسلمين.

وبعد دخول المجتمع في الإسلام،اتخذ وسيلة ثابتة أخرى، وهي المنبر، للتّوجيه والتربية والتعليم والتدريب؛ ليؤدّي من خلاله رسالته الكريمة، ويبثُّ من خلاله التوجيهات والإرشادات في مختلف المجالات. ومن هذه المواقف:

الموقف الأول: عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّ رِجَالاً أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ وَقَدِ امْتَرَوْا فِي الْمِنْبَرِ مِمَّ عُودُهُ؟،فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي

لأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ρ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ρ إِلَى فُلاَنَةَ امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ:(مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ)، فَأَمَرَتْهُ، فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ρ، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ρ صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي) (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٨٦٦)، فهذا الحديث يوضّح قصة بداية المنبر واتّخاذه في الإسلام، ويؤكّد على أنّ رسول الله ρ قد اتّخذه مكاناً متميزاً، لتعليم الجموع الكبيرة.

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د.ت) يشرح بعض دلائل الحديث: " قوله:(فأرسلَتْ)،أي: المرأة، قوله:(فأمر بها فوضعت)، أنّث الأعواد والدرجات لإرادته إيّاها. قوله:(ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ρ صَلَّى عَلَيْهَا)، أي: على الأعواد، وكانت صلاته على الدرجة العليا في المنبر. قوله: (وَلِتَعَلَّمُوا)،أي: لتتعلَّموا، وعرف منه أن الحكمة في صلاته في أعلى المنبر ليراه مَن قد يخفى عليه رؤيته إذا صلى على الأرض. ويستفاد منه: مشروعية الخطبة على المنبر لكلّ خطيب، خليفة كان أو غيره ".

وسيظلّ هذا الأسلوب ناجحاً ومفيداً على مَرّ العصور،ومن خلال المنبر تعالج بعض المواقف الاجتماعية، وتحلّ بعض المشكلات في المجتمع، ويتمّ من خلاله التأكيد على بعض القضايا والمفاهيم، والتحذير من بعض السلوكيات المرفوضة والمخالفة لعقيدة المسلم،أو لإسداء بعض التوجيهات النبوية المناسبة لكلّ حالة.

الموقف الثاني: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ وَالنَّبِيُّ ρ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الجُمُعَةِ،فَقَالَ:(صَلَّيْتَ يَا فُلاَنُ) ؟. قَالَ: لاَ، قَالَ:(قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ).(البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٨٧٨)، لاحظ التوقيت المناسب والمكان المناسب، وبذلك يظهر لنا أنّ المنبر من

أكثر الوسائل نجاحاً وانتشاراً وفاعليّة، وثبت نجاحه من ذلك العصر إلى عصرنا الحاضر، وسيظلّ.

الموقف الثالث: حين الخروج من المدينة والانتقال إلى خارجها، كان رسول الله ρ حريصاً على استعمال الوسيلة المناسبة والمكان المتميّز الذي يربطه بأصحابه، ويستطيع من خلاله توجيههم والاستماع إليهم، ونقل التوجيهات والإرشادات والإشارات بكلّ يسر وسهولة لهم، وذلك من خلال ركوبه ناقته القصواء، عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ρ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ،فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي). (الترمذي، سنن الترمذي، حديث: ٣٧١٨).

الموقف الرابع: عَنْ جَابِرٍ τقال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ρ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ:(لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي، لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِه).(مسلم، صحيح مسلم، حديث: ٢٢٨٦).

وخلاصة لِما سبق: إنّ رسول الله ρ حريص على الارتباط بأصحابه في كلّ وقت وحين، وكان الارتباط بينهم بأساليب مختلفة ومناسبة لكلّ حالة وموقف من مواقفه العديدة، مع اختيار المكان المناسب لهم ليسهل عليهم الفهم والاستيعاب والتطبيق السليم لما يأمرهم به.

وبناءً على ما سبق ذكره على المدرب الحريص أن يختار بيئة مناسبة للتدريب لكافة المتدربين أسوة بخير المرسلين، ويكون هذا المكان مهيأً بكل أدوات ووسائل التقنية الحديثة المدعومة بالتجهيزات الجيدة، فهي من عوامل نجاحه وتميزه في إيصال رسالته.

ثانياً: التواصل الفعال: فالكلامُ لغة التواصل بين المتكلّم والسامعين،وحتى يكون له أثرٌ مفيد ودور في التربية والتعليم والتدريب، لا بدّ من توفّر بعض المهارات والمواصفات في قائله؛ حتى يبعثَ على التأثير في النفوس، ويجذب الألباب نحو محتواه، ولذلك تظهر أهمية الإنصات والإصغاء للكلام؛ حتى يدرك مغزاه ويُفهم معناه.

وهناك مواصفات إسلامية للمتحدث ليكون على تواصل جيد مع المتدربين، ولها ارتباط وثيق بالمهارات اللفظية، لارتباطها بسلامة الأعضاء الحسية في النطق والاستماع، ومنها (الفرجاني، ١٤١٣هـ، ص٦٩٠-٦٩١)

١- أن يجيد المرسل لغة المتلقي ويتحدث بلسانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: ٤).

٢- أن يكون فصيح اللسان، ليتمكن من الحوار والإقناع: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص:٣٤).

٣- أن يكون منشرح الصدر وسليم النطق في مخارج الحروف: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه: ٢٥- ٢٨).

٤- أن يكون صبوراً واسع الأفق ويعطي أكثر من فرصة للمتلقي: (واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف:٢٨).

ولقد كان رسول الله ρ يطبّق تلك المهارات في كلامه مع صحابته، فنجده يدعوهم أولاً للإنصات والإصغاء قبل الحديث إليهم، وهو أول درجات الاستجابة والاستفادة والتغيير للأفضل.

فَعَنْ جَرِيرٍ τ أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:(اسْتَنْصِتِ النَّاسَ، - فَقَالَ -: لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ). (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ١١٨).

قال ابن حجر العسقلاني شارحاً الحديث في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د.ت): فيه أنّ الإنصات للعلماء لازم للمتعلِّمين؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء، كأنه أراد بهذا مناسبة الترجمة للحديث، وذلك أن الخطبة المذكورة كانت في حجّة الوداع، والجمع كثير جداً، وكان اجتماعهم لرمي الجمار، وغير ذلك من أمور الحجّ، وقد قال لهم:(خذوا عني مناسككم)، كما ثبت في صحيح مسلم، فلما خطبهم ليعلِّمهم، ناسب

أن يأمرهم بالإنصات.وقد قال سفيان الثوري وغيره: أول العلم الاستماع، ثمّ الإنصات، ثمّ الحفظ، ثم العمل، ثمّ النشر "

وذكر النووي في شرح الحديث السابق: " قوله ρ:(اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)، معناه: مُرْهم بالإنصات؛ ليسمعوا هذه الأمور المهمّة والقواعد التي سأقرّرها لكم وأحمّلكموها ".

وشرح السندي: " قوله:(اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)، أي: قل لهم ليسكتوا حتى يسمعوا قولي. وفيه اهتمام لتعظيم ما يقوله ".

فبعد أن يتهيأ الجميع لسماع ما يريد قوله رسول الله ρ،يشرع بكلام واضح بيّن فصْل، بدون استعجال، وبِحُسن نُطق، وجمال ترتيب؛ حتى يستفيد منه السامع، ويحقق الرسول ρ غرضه من ذلك، وعلى ذلك شواهد،منها:

الشاهد الأول: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (أَنَّ النَّبِيَّ ρ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ. وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو فُلاَنٍ ؟. جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ρ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ). (البخاري، صحيح البخاري،حديث: ٣٣٠٣).

ويؤكّد ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث في كتابه:(فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د.ت) هذا الأسلوب:(الكلام الواضح البيّن الفصْل الخالي من السرد والاستعجال):"بقوله:(لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ)، أي: لو عدَّ كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم.وقولها:(لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ)،أي: لأنكرتُ عليه وبيّنتُ له أنّ الترتيل في التحديث أولى من السرد.وقولها: (لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)، أي: يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلاّ يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيلي من رواية ابن المبارك عن يونس:(إنّما كان حديث رسول الله ρ فصْلاً تفهمه القلوب) ".

ولا شكّ أن أسلوب الإلقاء من أقدم وأقوى الأساليب المستخدمة بين المعلِّم والمتعلِّم، التي " تساعد على ضبط الفصل وإدارته،وفي المقابل

فهو يفيد الطالب في حفظ المعلومات وصيانتها عن النسيان". (الشلهوب، ١٤١٧هـ، ص٧٥).

كان الحبيب المصطفى ρ مدرسة في مهارات التواصل الفعال، في أخلاقه وتعامله وفي كلّ كلامه وكلّ شؤونه، يستمدّ منه المربي والعالم والمتعلِّم بغيته، فهو المنهَل والمَعين الذي لا ينضب، بل من دلائل وضوح كلام رسول الله ρ هو قدرة الصحابة على سماعه والاستفادة منه، بل لو أراد أن يعدّه ويحصيه العادُّ لاستطاع ذلك، وهذه ميزة أخرى، بل أسلوب مناسب خاصة في ذلك الزمان الذي قلَّ فيه وجود الكتابة، بل ندر كتابة كل ما يريد قوله ρ، فلم يكن هناك طريقة متبعة إلا السماع والحفظ عن رسول الله ρ، وهذا ما يؤيّده، عَنْ عُرْوَةَ τ قَالَ: جَلَسَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا وَهِيَ تُصَلِّي، فَجَعَلَ يَقُولُ: اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ - مَرَّتَيْنِ -، فَلَمَّا قَضَتْ صَلاتَهَا قَالَتْ: أَلا تَعْجَبُ إِلَى هَذَا وَحَدِيثِهِ؟. إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ لَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ شَاءَ الْعَادُّ أَنْ يُحْصِيَهُ أَحْصَاهُ(أبو داود، سنن أبي داود، حديث: ٣١٦٩).

ومن أساليبه التربوية في كلامه ρ: إعطاء فرصة للمتلقين للحفظ والاسترجاع والسؤال، وذلك بسكوته أثناء الإلقاء، ولذلك فوائد عظيمة لجذب انتباههم، وأخذ قَدْر من الراحة، وترتيب الأفكار. ولعلّ الحديث الطويل الذي ورد بأكثر من رواية عن رسول الله ρ يوضِّح هذا الجانب:

الشاهد الثاني: عَن أبي بكرة τ عن النبي ρقال:(أيّ شهر هذا) ؟. قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننّا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال:(أليس ذا الحجة) ؟قلنا: بلى...(مسلم، صحيح مسلم، حديث: ٣١٧٩).

وإذا كان الموقف يستدعي غير ذلك، كأنْ يكون في معرض التحذير أو الغضب؛ لارتكاب محرّم أو مخالفة صريحة، تكون الوسيلة مطابقة للأسلوب ومُوافقة للحدَث، كما في إنذاره لقريش وإبلاغهم بالتوحيد على جبل الصفا.

الشاهد الثالث: عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالاَ:(لَمَّا نَزَلَتْ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٢١٤) قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ρ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ فَعَلا أَعْلاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَى: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ، إِنِّي

نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ،فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ:يَا صَبَاحَاهْ).(مسلم، صحيح مسلم، حديث:٣٠٦).

فعبارات الحديث أو الموقف توحي بالانفعالات المطلوبة في ذلك المقام، وتضع أمام القارئ جملة من خصائص وأساليب الرسول ρ في كلامه المناسب لكلّ مقام.

يقول (عبد الباري، ١٤١٢هـ،ص٦٨): " فالتعبير عن الموقف بكلمة (يربأ) تعبير دقيق مصيب، ثمّ اختياره ρ لكلمة (يهتف)، ومعناها: يصيح ويصرخ؛لأنّه خشي أن يسبقه العدو فيدهم قومه، وهو يهتف بهذه الكلمة المعبّرة: (يا صباحاه)، وهي كلمة يعتادونها عند وقوع أمرٍ عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له، ومن هنا تظهر الدقّة في اختيار الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب ".

كان الرسول الكريم واضح الجواب إذا سُئل، بيَّن الكلام إذا نطق، يَفهم كلامه الجميع، لا يسرد كلامه سرْداً مُخِلاً يفوت على السامعين ما ينتفعون به، بل إنه إذا اقتضت المصلحة لا يتردّد في طرح السؤال المهمّ الذي له دور كبير في بيان جانب مهم من جوانب العقيدة والتوحيد.

عن معاذ τ قال: كنتُ ردف النبي ρ على حمار يُقال له: (عُفَيْر)، فقال:(يا معاذ، وهل تدري حق الله على عباده ؟. وما حق العباد على الله) ؟. قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنّ حقّ الله على العباد: أن يعبدوه لا يُشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله: أن لا يعذّب مَن لا يُشرك به شيئاً)،فقلتُ: يا رسول الله، أفلا أبشّر به الناس ؟.قال: (لا تبشّرهم، فيتّكلوا). (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٢٨٥٦).

فقد كان واضح الصوت، مع تحلّيه بالتواضع، فلا يرفع صوته، ولا يصخب، ولا يتعالى، بل قد حذّر من ذلك أشدّ التحذير، فقال في الحديث الذي يرويه عنه جابر τ: (إنّ مِن أحبّكم إليَّ وأقربكم مِنّي مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً، وإنّ أبغَضَكُمْ إليَّ وأبعدكُم مِنّي مجلساً يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدّقون، والمتفيهقون). قالوا: يا رسول الله، قد علِمنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون ؟ قال: (المتكبّرون).(الترمذي، سنن الترمذي، حديث: ٢٠١٨).

لِذا على المدرب الذي يتّخذ من محمد ρ قدوةً له وعليه، أن يمارس هذه الآداب في كلامه وأثناء شرحه، من كلام واضح، وصوت مسموع، وشرح وافٍ، وبقدر استطاعته، فلا يتكلّف أن يكونَ فصيحاً وهو لا يُحسِن ذلك، " ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع الحاضرين " (السمعاني، ١٤٠١هـ، ص٤٩).

وأيضاً " يحرص على إيضاح العبارة وإيجازها، فلا يوضح إيضاحاً ينتهي إلى الركاكة، ولا يوجز إيجازاً يفضي إلى المحق والاستغلاق " (النووي، ١٤٠٨هـ، ص٣٣).

فقد كان من هدي رسول الهدى ρ: عدم الإطالة في الكلام؛ خشيةً من السأم والملل، ومراعاةً لأحوال السامعين، إلا إذا اقتضت الحاجة، وعادته عدم الإطالة، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السُّوَائِيِّ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ لا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ). (أبو داود، سنن أبي داود، حديث: ٩٣٣). وردَ في شرحه في كتاب (عون المعبود شرح سنن أبي داود): " فيه: الوعظ في الخطبة مشروع، وإن إقصار الخطبة أَوْلى من إطالتها ".

ثالثاً: التكرار والمتابعة: للتكرار في التعليم فوائد عديدة، منها: التأكيد والتثبيت لبعض المعلومات والحقائق والمفاهيم، وحفظ الشيء المكرَّر ورسوخه في الذهن، وإثارة الانتباه حول الشيء المكرّر، والاهتمام به والتنبيه عليه... إلخ. وقد حرص رسول الله ρ على حفظ الوحي وتكراره، فتكفل الله بحفظه،كما قال تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة:١٦-١٧) ورد في تفسير ذلك: " هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ρ في كيفية الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه "(ابن كثير، ١٤٣٢هـ، ج٤، ص٤٠٦) ويزاد أثر التكرار عندما يرتبط بتنوع أساليب الكلام والقول، ومن أبرز أساليب القول في القرآن الكريم، ما يلي(الفرجاني، ١٤١٣هـ، ٦٩٦):

١- زخرف القول: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (الأنعام:١١٢)

٢- لين القول:(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه: ٤٣-٤٤)

٣- لحن القول: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد:٣٠)

٤- الخضوع بالقول، والقول المعروف: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (الأحزاب:٣٢)

٥- الجهر بالقول: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) (النساء:١٤٨)

٦- والقول دون الجهر: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) (الأعراف: ٢٠٥)

وقد استخدم رسول الله ρ التكرار كوسيلة تعليمية تربوية؛ لفاعليتها وأهميتها، وثبت في مواقف عديدة وكثيرة أنه كان يكرّر كلامه ويعيده على سامعيه؛ ليعوه ويفهموه ويُدركوه، فعَنْ أَنَسٍ τ عَنِ النَّبِيِّ ρ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا. (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٩٣).

ومن المواقف التي استخدم فيها رسول الله ρالتكرار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ρ: أَوْصِنِي، قَالَ: (لا تَغْضَبْ)، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ:(لا تَغْضَبْ). (البخاري، صحيح البخاري، حديث:٥٦٥١).

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) يشرح الحديث: " قوله: قال: (لا تَغْضَبْ)، وفي رواية أبي كريب: كلّ ذلك يقول:(لا تَغْضَبْ). وفي رواية عثمان بن أبي شيبة قال: (لا تَغْضَبْ)- ثلاث مرات -، وفيها بيان عدد المرار. وفي حديث أنس أنه ρ كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتُفهم عنه، وأنه كان لا يُراجع بعد ثلاث ".

وذكر ابن جماعة(١٤١٩هـ، ص٩١) في آداب العالم مع طلبته في حلقته قوله: " ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره "، فحريّ بالمدرب أن يتخذ من رسوله ρ وأسلافه العظماء أسوة وقدوة حسنة له.

وخلاصة لِما سبق: نجد أن التكرار والمتابعة وسيلة ناجحة لحفظ المعلومات، والتركيز على بعض الأشياء المهمّة، وقد استخدم ذلك رسولنا ρ.

رابعاً: **توظيف لغة الجسم**: اشتراك حاستين - كالسمع والبصر - أقوى في التلقي من الاقتصار على واحدة، ولذلك " نلمس السبب من جعل المنبر عالياً، ولقد كان منبره ρ بارتفاع ثلاث درجات، وهي كافية جدّاً في تبادل النظر بين الخطيب والمصلّين ". (الشلهوب، ١٤١٧هـ، ص٨٢).

وكانت تظهر على وجهه ρ التعابير المناسبة لكلّ حادثة، فغالباً تسيطر الابتسامة على الموقف، وأحياناً يظهر الغضب ويعلو صوته، وحيناً يمسح بجوارحه على أتباعه، ولذلك الفعل أثره الكبير في نفوسهم، ومن أبرز التعبيرات، ما يلي:

١- **التبسُّم**: فعَنْ جَرِيرٍ τ قَالَ:(مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ρ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي)، زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ:(وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ:(اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا).(مسلم، صحيح مسلم، حديث: ٤٥٢٣).

بعض الناس تؤثّر فيه البشاشة والابتسامة أكثر من الردع والزجر، وهذا ما صنعه الرسول ρ مع بعض صحابتهψ، كما في الحديث السابق، وقد شرحه النووي في شرحه لصحيح مسلم بقوله: " قوله: (مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ρ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِك) معناه: ما منعني الدخول عليه في وقتٍ من الأوقات، ومعنى (ضحك): تبسّم، كما صرّح به في الرواية الثانية، وفعل ذلك إكراماً ولطفاً وبشاشة، ففيه استحباب هذا اللطف المراد، وفيه فضيلة ظاهرة لجرير".

ومن هذا يتّضح لنا أن الأصل تبسُّم الرسول ρ، وهو العادة، وإذا طرأ ما يستدعي الغضب وتلوُّن الوجه ونحوه، كانتهاك محارم الله تعالى ونحوها، ظهر ذلك على وجهه الشريف، ولكن الأصل والعادة التبسُّم، وهذا يؤيّده قول عبد الله بن الحارث ابن جَزْءٍ τ: (ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ρ) ومن طريق آخر عنه قال: (ما كان ضحك رسول الله ρ إلا تبسُّماً).(الترمذي، ١٤١٣هـ، مختصر الشمائل المحمدية، ص١٢١). وعطفاً على كثرة فوائد البشاشة، فإنها تجلب الودّ والاحترام، وتوقع الكلفة بين الإخوان، ويزداد الحبّ والألفة والإخاء بينهم.

٢- **الغضب**: وكانت تظهر أمارات الغضب على وجه رسول الله ρ عند إرادة تغيير منكر، أو الحديث عن الساعة وأشراطها، َعنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ - وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى -)، وَيَقُولُ:(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)،ثُمَّ يَقُولُ: (أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ).(مسلم، صحيح مسلم،حديث: ١٤٣٥).

قال النووي في شرحه للحديث:" قوله:(إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ) يستدلّ به على أنه يستحبّ للخطيب أن يفخِّم أمر الخطبة، ويرفع صوته، ويجزل كلامه، ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلّم فيه من ترغيب وترهيب، ولعلّ اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً، وتحديده خطباً جسيماً ".

وقد روي الحديث عند ابن ماجه برقم ٤٤ في المقدّمة، وشرحه السندي بقوله: " (إذا خطب احمرّت... إلخ)، يفعل ذلك لإزالة الغفلة من قلوب الناس؛ ليتمكن منها كلامه ρ فضل تمكّن، أو لأنّه يتوجّه فكره إلى الموعظة، فيظهر عليه آثار الهيبة الإلهية".

فالتعبيرات اللفظية والشكلية تسهم بقدر كبير في إيضاح المقصود من الموضوع والهدف الذي يرمي إليه القائل، وبذلك يظهر لنا أثر استخدام تعابير الوجه وما لَهُ من أثر في تعزيز السلوك أو التنفير من شيء محدَّد.

٣- الإمساك بمنكب المتعلم: فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ρ بِمَنْكِبِي فَقَالَ:(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ).(البخاري،صحيح البخاري، حديث: ٥٩٣٧).

فالإمساك بالمنكب طريقة لإثارة الانتباه والاهتمام، ليلقي إليه سمعه وبصره وقلبه، ليكون أدعى له وأذكر للمعلومة.

فقد أراد رسول الله ρ حضَّ أصحابه على تقصير الأمل في الدنيا؛ لأنّ ذلك يدعو إلى الإكثار من العمل الصالح ونبذ الكسل والإهمال، فصوَّر لهم ذلك بمثل تعليمي يألفه الناس ويحسونه بحواسّهم، ويعرفونه في حياتهم (عابر سبيل) أو (غريب).

قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري): " قوله:(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)، شبَّه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل؛ لأنّ الغريب قد يسكن في بلد الغربة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق، فإنّ من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة.

في الحديث: لحضّ على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بدّ منه، مسُّ المعلِّم أعضاء المتعلِّم عند التعليم والموعوظ عند الموعظة (المنكبين)؛ وذلك للتأنيس والتنبيه، حرص الرسول ρ على إيصال الخير لأمّته ".

فعلى المدرب الحصيف أن يستفيد من تلك الأساليب اليسيرة التطبيق، المؤثرة في نفوس المتدربين، وليدرك أثر الصوت الجيد وتنويع النبرات، ويستفيد من تلك القدرة المؤثرة رفعاً وخفضاً وتنويعاً في كلّ حين، فالمواقف التدريبية مختلفة ومتعدّدة، وتحتاج إلى الصوت الذي "

يظهر عليه التعجب وقت العجب، والأسى وقت الاستياء، والفرح وقت البهجة، والاستفهام وقت السؤال، الصوت الذي يهيمن على سامعيه ويستقطب انتباههم، ويستحوذ على اهتمامهم، ويستهوي عقولهم، ويؤثر فيهم، ويؤدي إلى إقبالهم وتشوُّقهم وتلهّفهم وشغفهم وإنصاتهم ومتابعتهم ".(جان، ١٤١٩هـ، ص٢٤٣).

وهكذا يظهر لنا أن رسول الله ρ كان يستعمل لغة الجسم المناسبة لكل موقف (غضباً وفرحاً وتبسُّماً أو إمساكاً بمنكب المتعلم) مما يدعم الموقف التعليمي والتدريبي وأدعى للاستفادة منه.

خامساً: الاستفادة من الخبرات المتاحة: العلمُ بحرٌ لا ساحل له، لا يُحيط به إلا الله سبحانه وتعالى، وأما الخَلْق فعِلْمهم محدود، وبضاعتهم قليلة. قال تعالى: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)، ورد في تفسيرها: " قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل، وقال ابن عباس: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم ، وقال قتادة: وفوق كل ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بدئ، وتعلمت العلماء، وإليه يعود " (ابن كثير،١٤٣٢هـ، ج٢، ص٤٤٣)، وتتجلى الاستفادة في عدة جوانب، منها:

الجانب الأول: قراءته على مَنْ هو دونه:فلا شكَّ أن سيدنا محمد ρ هو أفضل الخَلْق، وأعلم الناس بكتاب الله تعالى. وحتى يغرس في أصحابه مبدأً عظيماً ومهمّاً، فقد قرأ القرآن على أحد أصحابه حتى لا يستنكف أحدٌ من بعدهِ في الاستفادة وأخذ العلم ممن هو دونَهُ في المنزلة والدرجة.

فعن أنس بن مالك τقال: قال النبي ρ لِأُبَيّ:(إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، قال: وسَمّاني ؟. قالَ:(نعم)، فبكى. (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٤٩٥٩).

أيّ دلالة يشير إليها الحديث الشريف إلاّ التواضع ؟. وغرسه في نفوس أصحابه حتى يطلبوا العلم من بعده بدون كِبر ولا خُيلاء، ولا بحث عن مناصب ولا شهادات، فالمهمّ تحصيل العلم النافع المفيد، الذي ينير السبيل، ويوضح الطريق في الدنيا والآخرة.

فعلى المدرب ألاَّ يستنكِف من الاستفادة من كل الخبرات المتاحة حوله، ولو ممَنْ هو أقلّ منهم درجة ومنزلة، ولاَ يتكبَّر، اقتداءً بنبيّه ورسولِه الكريم ρ.

الجانب الثاني: قوله: (لا أدري): فلكل إنسان علم محدود لا يتجاوزه، ومن هذا المنطلق يجب على الفرد منا أن يلتزمَ بهذا الجانب، فلا يدّعي علم ما ليس عندهُ، أو معرفة ما يجهلهُ. وكان خيرُ الخـلْق سيدنا محمد ρ قدوةً لنا في هذا الجانب، ويبيّن ذلك حديث (جبريل) المشهور، فعن أبي هريرة τ: (...قال: متى الساعة؟ قال:(ما المسؤول عنها بِأَعْلَمَ مِن السائل)...).(البخاري ،صحيح البخاري، حديث: ٥٠)، فالمدرب لا حرج عليه إطلاقاً إذا سئل عن شيء لا يَعْلمه أن يقول:(الله أعلم)،أو (لا أعلم)،أو(لا أدري)، سأسأل أو أبحث في الموضوع، أو أقرأ عن المسألة، و أفيدك إن شاء الله تعالى، فعليه أن " يرجع العلم لله فيما لا يعلم، و لا يتحرج من عدم المعرفة، وأيضاً لا يضيق ذرعاً بالسائل" (الفرجاني، ١٤١٣هـ، ص٦٩٧). والشواهد على ذلك من القرآن عديدة، منها قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٨٥)، ورد في تفسير ذلك: "قوله: (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أي: من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم، ولهذا قال: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أي: وما اطلعكم من علمه إلا القليل، فإنه لايحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى، والمعنى أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى" (ابن كثير،١٤٣٢هـ، ج٣، ص٥٩)

وقوله: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) (الأعراف: ١٨٧)، فقد " أمر الله رسولهρ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى، فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى " (ابن كثير،١٤٣٢هـ، ج٢، ص٢٠٥)

فإذا كان خير الأنبياء قد أجاب بعدم عِلمه، فالعلماء كذلك لا بأس عليهم بذلك. " وقالوا: ينبغي للعالِم أن يورث أصحابه (لا أدري). معناه يكثر منها " (النووي، ١٤٠٨هـ، ص٤٢).

كل ذلك دلالة على التواضع ومحدوديّة عِلم الإنسان بجانب عِلم الله تعالى. فمهما بلغَ الإنسان مِن العِلم، ونالَ أعلى الشهادات، وحازَ أرفع المؤهلات، لا زال طالب علم يبحث في طُرُق المعرفة وأبواب العِلم عمّا يفيده في مستقبله أو تخصصه، وهكذا.

سادساً: الممارسة والتطبيق العملي: عندما يقترن القول بالعمل يكون ذلك أوقع في النفس، وآكد في الفهم والإدراك، وهذا ما نعني به أسلوب الممارسة العملية،فلا يقف المدرب والمتدرب عند مرحلة القول فقط، بل ينتقل إلى مرحلة العمل والتطبيق والاستفادة مما علمه.

فالممارسة العملية بعد التجريب تؤدي إلى نجاح الرسالة وإلى اعتراف المتلقي بعلم ودراية المرسل ، كما ورد في الآية الاتية: (قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (الشعراء: ٣١-٣٤)، فإذا اشترك المتلقي في الممارسة والتنفيذ وإجراء التجربة يكون أدعى للفهم والرسوخ في الذهن، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: ٢٦٠)، ولذلك حثّ ديننا الحنيف على العمل والتطبيق والإنتاج، ودعا إليه في كثيرٍ من الآيات، وحذّر من القول بدون عمل، فقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) (سورة النساء: ٦٦).

وهذه الوسيلة تُعدّ" ركناً أساسياً من أركان نجاح العملية التدريسية؛ لكونها تتيح للمتعلم فرصاً كثيرة للقيام بنشاط متعدّد يساعده على تنمية سلوكه وتحقيق نموّه في الاتجاهات المرغوبة " (وزان، ١٤١٣هـ، ص١٧٥).وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تطبيق هذا المبدأ في حياته مع صحابته، وله شواهد عديدة، منها: روي أن رجلاً أتى

النبي ρ عن الوضوء، فقال: يا رسول الله كيف الطهور ؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، فأدخل أصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: هكذا الطهور، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم أو ظلم و أساء " (أحمد، المسند، حديث: ١٣٥)

عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ τ قَالَ: (أَتَيْنَا النَّبِيَّ ρ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ρ رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ:(ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لا أَحْفَظُهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ). (البخاري، صحيح البخاري، حديث: ٦٧٠٥)، وفي هذا الحديث يؤكد رسول الله ρ أهمية الممارسة والتطبيق لجلاء الغموض عند البعض، وحتى يكون الهدف واضحاً لهم، قام هو بالممارسة متخذاً من أسلوب القدوة الحسنة مثالاً يحتذون به ويقتدون به في صلاتهم وسائر شؤون حياتهم.

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د.ت): " قوله:(صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، سياقه أَشْعَرَ أنه خطاب للأمّة بأن يصلّوا كما كان يصلي، فيقوى الاستدلال به على كل فعل ثبت أنه فعله في الصلاة، لكن هذا الخطاب إنما وقع لمالك بن الحويرث وأصحابه بأن يوقعوا الصلاة على الوجه الذي رأوه ρ يصليه، نعم، يشاركهم جميع الأمة بشرط أن يثبت استمراره ρ على فعل ذلك الشيء المستدلّ به دائماً حتى يدخل تحت الأمر ويكون واجباً ".

وهذا الشاهد الذي يؤكد حرص الرسول ρ على استخدام الممارسة والتطبيق أمامهم، فبعد أن تعلّموا كيفية صلاة النبي ρ عمليّاً ومارسوها

في عبادتهم، أخذوا ينقلونها كما هي للأجيال اللاحقة، حتى وصَلَتنا بنفس الكيفية والممارسة التي قام بها رسول الله ρ.

وقد رسخ هذا الأسلوب في حياتهم من خلال تطبيقه للعبادات والمعاملات وكافة شؤون التعامل مع غيرهم؛ وذلك ليؤكد لهم أنّ ما يدعوهم إليه من أمور وأحكام ممكنة التنفيذ، قابلة للتطبيق، ولهذا الأسلوب العديد من الآثار التربوية، منها:

أ) الإتقان العملي خير مقياس للتعلّم، سواء في ذلك الاستحفاظ أو أداء العبادات.

ب) شعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل.

ج) التواضع وحبّ العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل.

د) شدّة الاقتناع وبلوغه أعماق النفس.(النحلاوي، ١٤١٧هـ، ص٢٦٩-ص٢٧١).

وهذا يسهم في اكتساب الفرد مهارات جيدة يستفيد منها في حياته العملية لاحقاً، وظهوره بشكلٍ جادّ ومنظم، واحترامه لقيمة الوقت والعمل والإنتاج، مع اكتساب علاقات اجتماعية جديدة، وخبرة في مجال عمله.

سابعاً: توظيف الوسائل التعليمية: وتبرز أهمية الوسائل التعليمية من ضرورة ملازمتها للمواقف التدريبية، " فهي تعمل على توفير الوقت والجهد والتكاليف، وتمكن المعلم من تكبير الرسالة البصرية وتضخيم الرسالة الصوتية " (الفرجاني، ١٤١٣هـ، ص ٦٩٢) وهناك العديد من الوسائل التعليمية التي تعين على عملية التعلُّم والتدريب على الوجه المطلوب والطريقة المرغوبة، وتمكِّن المدرب من إعانة المتدرب على فهم الحقائق وإدراك المعارف واكتساب الخبرات والتجارب التي تؤدي إلى نضجه العقلي وزيادة مستواه التحصيلي، ونظراً لكثرة تلك الوسائل التعليميّة المعينة على التعلُّم وارتباطها ببعضها البعض، ووجود العديد من الشواهد التي تؤكِّد استخدام الرسول ρ لها كالرسوم الإيضاحية، اللوح، عناصر الكون والنماذج أو العينات، الإشارات، التعبيرات والهيئات، التطبيق والممارسة العملية، المكان المتميّز،(البشري، ٢٠٠٩م، ص٢٤٦-ص٢٤٧)، و سنذكر– هنا - بعضها:

١- الرسوم الإيضاحية: تعتبر الرسوم والأشكال الإيضاحية من أبرز الوسائل التعليميّة التي يمكن الاستفادة منها في التدريب، فهي شائعة الاستعمال بأشكالها البيانية والتوضيحية، وفي القرآن الكريم إشارة لها في قوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (العنكبوت:٤٨) ورد في تفسيرها: " وهكذا كان رسول الله ρ دائماً إلى يوم الدين، لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم "(ابن كثير،١٤٣٢هـ، ج٣، ص٣٩٠)، وقد ارتبطت الرسوم الإيضاحية بالتعليم والتدريب، لأنها تساعد على تفتيح مدارك المتعلمين وتقريب المعاني البعيدة، وتجسيد بعض الأفكار الغريبة على أذهانهم. وكونها طاردة للملل والسأم والتعقيد. وهذه الفوائد العظيمة لم يغفلها رسولنا الكريم ρ في تعامله مع الناس، فقد استخدم الرسوم الإيضاحية والخطوط. و" كان يدعم قوله ρ في بعض حديثه برسومات تقرّب المعنى للأذهان، وتعين على الحفظ ". (الشلهوب، ١٤١٧هـ، ص١١٢).والشاهد على ذلك: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (خَطَّ رَسُولُ اللهِ ρ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: ((تَدْرُونَ مَا هَذَا))؟. فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: ((أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ)).(أحمد، المسند، حديث: ٢٥٣٦)،في الحديث يمثل " سمو أربع شخصيات من النساء المؤمنات، يمثّلنَ التكامل الإنساني.. وأنّهنّ متقاربات في درجة السموّ، متوازيات في الفضل، ولكلّ منهنّ شخصيتها المتمايزة ". (الهاشمي، ١٤٠٥هـ، ص٢٢١).

وأراد الرسول ρ تجسيد تلك الصورة أمام الصحابة، وزيادة في الإيضاح رسمَ أربعة خطوط مستقيمة متوازية، يمثل كلّ خطّ منها شخصية من أولئك النساء الفاضلات.

٢- اللّوح: فهو وسيلة تعليمية شائعة الاستعمال وسهلة التركيب، وبسيطة المكونات، يستخدم لتثبيت المعلومات وحفظها، وعرضها بأكثر من طريقة على المتلقّين، وقد كان اللوح من ضمن ما يستخدم من أدوات

لكتابة القرآن الكريم، بل " إنّ القرآن كان كذلك في لوح.. " (الهاشمي، ١٤٠٥هـ، ص٢١٤)، قال تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (سورة البروج: ٢١، ٢٢).

فاللّوح أداة كتابة شاملة، وأداة لحفظ القرآن الكريم والسنّة المطهرة. وقد استخدمه الرسول ρ كوسيلة تعليمية مهمّة لحفظ وتدوين بعض الأشياء المهمّة، ورغبة في الحفاظ عليها وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن، دوّنها في اللوح. ومن الأحاديث التي تبيّن ذلك الاستعمال، والحرص على نفع المسلمين في كلِّ حين.

فنظراً لحاجة الإنسان لمحو ما يكتب على الألواح والاستفادة منها مرة أخرى، ظهر نوع من الألواح يسمى (السبورة)، وقد عرّفها (ابن منظور، د.ت، ج٦) بقوله: " السَّبُّورة: هي الألواح من الساج يكتب فيها التذاكير ".(مادّة سَبَر: ص٥).وورد في تعريفها أنّها: " لوح يُكتب عليه، فإذا استغني عما فيه مُحي ".(إبراهيم وآخرون، د.ت، مادّة سَبَرَ، ص٤١٣).

وقد عُرِفت السبورة في القرن الأول الهجري، واستخدمت كوسيلة تعليمية معينة على الكتابة وحفظ المدوَّنات، ويظهر ذلك من خلال الشاهد الآتي: عَنْ سَلْمٍ الْعَلَوِيِّ قَالَ: (رَأَيْتُ أَبَانَ يَكْتُبُ عِنْدَ أَنَسٍ فِي سَبُّورَةٍ).

وقد تطورت أشكال السبورة وتعدّدت استخداماتها على مرّ العصور، حتى أصبحت أكثر من تسعة أنواع، لكل نوع مميزاته واستعمالاته. (السيد، ١٩٩٩م، ص١٢٩).

ولعلّه قد كثر الاعتماد على السبورة في هذا العصر، وزاد انتشارها في حقول التربية والتعليم وغيرها طلباً للاستفادة منها، وحرصاً على المميزات التي تحظى بها، ومن تلك المميزات:

١- سهلة الاستعمال والتنظيف.

٢- سهولة مسح الخطأ وكتابة الصواب مكانه.

٣- الكتابة عليها بخط كبير يستفيد منه الدارس.

٤- يمكن أن يستعملها المعلّم والطالب في جميع المواد ومختلف المستويات.

٥ - رخيصة التكاليف، سهلة الصنع. (السيد، ١٩٩٩م، صص١٢٨-١٢٩).

٦ - سهولة استخدام الألوان المعبّرة حسب الحاجة والغرض منها.

وحتى تتحقق الفائدة المرجوّة من وجود السبورة في قاعة التدريب ، وتتمّ الاستفادة منها بشكل أكبر، على المدرب إتقان بعض المهارات لاستخدام السبورة بشكل فاعل في التدريب، ومن ذلك: عرضها في مكان مناسب للجميع، مع مراعاة حُسن التنظيم ووضوح الخط، واستعمال الألوان المتعددة؛ ليزداد الخطّ وضوحاً وتنظيماً، ويزداد الشرح رسوخاً وثباتاً في أذهان المتدربين، ويضاف إلى ذلك توظيف التقنية بشكل جاذب في عرض الصور والأشكال والرموز لتدعم الموقف التدريبي.

خاتمة الدراسة

بدأت جهود العلماء والمفكرين المسلمين بالدراسة والبحث والتأصيل للعلوم الإنسانية المفيدة للبشرية، ويعتبر(التدريب) من أبرز تلك العلوم، فهو الناقل للخبرات والمعارف بشكل ممتع وجاذب عبر الأزمنة المتتابعة.

فهدف تأصيل العلوم والدراسات الاجتماعية والإنسانية تقديم معرفة مسترشدة بالوحي من جهة، ومؤمنة بقدرة الفرد المسلم على الفكر والعطاء الإنساني في مختلف المجالات.

وقد تحولت دعوات التأصيل الإسلامي إلى أبحاث وأوراق عمل، تعقد لها الندوات والمؤتمرات، وأصبحت هناك بعض الجهات المتخصصة في هذا الجانب، دعماً ورعاية وتشجيعاً لربط العلوم بالقرآن والسنة.

والدراسة الحالية تتبعت ركائز التدريب ودعائمه الرئيسة التي لا ينفك عنها، بل ويقوم على هذه المنطلقات حسب دراسات علم الإدارة الحديثة والتدريب، وقصدت إلى البحث في القرآن الكريم والسنة النبوية بما يدعم ذلك من الشواهد الكريمة، ومن أبرز تلك الركائز:

أولاً: البيئة الداعمة للتدريب.

ثانياً: التواصل الفعال.
ثالثاً: التكرار والمتابعة.
رابعاً: توظيف لغة الجسم.
خامساً: الاستفادة من الخبرات المتاحة.
سادساً: الممارسة والتطبيق العملي.
سابعاً: توظيف الوسائل التعليمية.

وقد ربطت الدراسة الحالية تلك الركائز بالقرآن الكريم والسنة والنبوية بعد الرجوع للكتب والمراجع المعتمدة.

نتائج الدراسة

١- يبقى القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين ثابتين متجددين للإفادة منها في كل المجالات والعصور.

٢- أوجدت جهود التأصيل الإسلامي للعلوم شعوراً عاماً بالاعتزاز بالدين الإسلامي لدى شتى الفئات والأطياف المنتمية إليه.

٣- التدريب من أهم المجالات التي يجب أن تهتم بها جهود المشتغلين بالتأصيل الإسلامي، لأهمية هذا المجال، وكذلك تعدد الشواهد التي تدعمه من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤- اعتمد رسول الله ρ على التدريب كوسيلة مؤثرة، أسهمت في تعزيز توجيهاته المباركة، وتطبيقها في واقع حياة الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من المسلمين إلى قيام الساعة.

٥- البيئة الداعمة للتدريب من عوامل نجاح المدرب في أدائه، وقد وردت العديد من المواقف والأحداث الموضحة لذلك.

٦- التواصل الفعال والمؤثر من الوسائل الناجحة لإيصال رسالة المدرب على الوجه الصحيح.

٧- التكرار والمتابعة والتركيز على بعض الأشياء المهمّة من عوامل نجاح التدريب الهادف.

٨- تعبيرات لغة الجسم لها تأثير إيجابي في أوساط المتدربين، وقد ظهر لنا أن رسول الله ρ كان يستعملها.

٩- التدريب عملية تبادلية بين المدرب والمتدربين، وفيها نقل للخبرات والمعلومات بين الطرفين، وقد وجدت شواهد عديدة تؤكد ذلك.
١٠- التطبيق العملي أوقع في النفس، وآكد في الفهم والإدراك، وقد وردت نماذج من القرآن الكريم والسنة المطهرة تؤكد ذلك.
١١- الوسائل التعليمية تعين على تنفيذ التدريب والتعلُّم بشكل صحيح، وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

التوصيات

١- تعزيز التدريب في المؤسسات الحكومية والخاصة، وربطه بكل ما يقربه من الكتاب والسنة المطهرة.
٢- ضرورة عقد مؤتمرات متخصصة لمناقشة موضوع: أسلمة التدريب، بمشاركة الجهات المختصة بالتدريب في العالم الإسلامي.
٣- تشكيل مؤسسات علمية بحثية إسلامية للإشراف على جهود التأصيل الإسلامي للعلوم وتصنيفها حسب العلم والمجال الذي تخدمه، بقصد التخصص والتراكمية العلمية وعدم هدر الجهود المبذولة سابقاً.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم.
[٢] إبراهيم، مصطفى وآخرون، د.ت، *المعجم الوسيط*، المكتبة الإسلامية، استانبول: تركيا.
[٣] ابن جماعة، بدر الدين ابن أبي إسحاق الكناني. ١٤١٩هـ*تذكرة السامع والمتكلِّم في آداب العالِم والمتعلم*. ط٣، حققه وعلّق عليه: السيد محمد هاشم الندوي، دار المعالي، عمّان: الأردن.
[٤] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. د.ت*فتح الباري بشرح صحيح البخاري*.قرأ أصله تحقيقاً وتعليقاً:عبد العزيز بن عبد الله ابن باز. رقّمَ كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية. القاهرة: مصر.

[٥] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل ابن كثير الدمشقي. ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. *تفسير القرآن العظيم*، راجعه ونقحه: الشيخ: خالد محمد محرم، المكتبة العصرية، بيروت: لبنان.
[٦] ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ١٤١٨هـ*سنن ابن ماجة*. ط١، اختصره وشرحه: مصطفى ديب البغا، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا.
[٧] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. د.ت*لسان العرب*، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
[٨] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. ١٣٨٨هـ*سنن أبي داود*. إعداد وتعليق: عزّت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت: لبنان.
[٩] أبو سليمان، عبدالحميد. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م*قضية المنهجية في الفكر الإسلامي*. ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
[١٠] أمزيان، محمد. ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م . نقد مناهج العلوم الإنسانية وخطوات صياغة مناهج إسلامية للعلوم الإنسانية. ضمن محتويات كتاب: *قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية (نخبة من العلماء*.القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
[١١] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. ١٤١٧هـ. *صحيح البخاري*. ط١، دار السلام. الرياض: المملكة العربية السعودية.
[١٢] البشري، عايش بن عطية. ٢٠٠٩م. *نماذج من الوسائل التعليمية التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستفادة منها في واقعنا التربوي المعاصر*.(بحث منشور)بمجلة كلية التربية بجامعة الزقازيق، العدد٦٤ (الجزء الثاني) يوليو ٢٠٠٩م.
[١٣] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. د.ت. *الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث. القاهرة: مصر.

[١٤] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ١٤١٣هـ، *مختصر الشمائل المحمدية*، ط٤، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: المملكة العربية السعودية.

[١٥] ثابت، سعيد بن علي. ١٤١٧هـ.*الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ρ*، ط١، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

[١٦] جان، محمد صالح بن علي. ١٤١٩هـ.*المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس*. ط١، دار الطرفين، الطائف: المملكة العربية السعودية.

[١٧] رجب، إبراهيم. ١٤١٢هـ.*مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية*. مجلة المسلم المعاصر.

[١٨] السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي. ١٤٠١هـ.*أدب الإملاء والاستملاء*. دار الكتب العلمية،بيروت: لبنان.

[١٩] السيد، محمد علي. ١٩٩٩م.*الوسائل التعليمية*، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان: الأردن.

[٢٠] الشريف، محمد موسى. ١٤٢٩هـ. *التدريب وأهميته في العمل الإسلامي*.ط١، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع،مصر.

[٢١] الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز. ١٤١٧هـ. *المعلِّم الأول*. ط١، دار القاسم، الرياض: المملكة العربية السعودية.

[٢٢] الصبيح، عبد الله ناصر. د. ت. *التأصيل الإسلامي لعلم النفس*. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.العدد٢٢ ، السنة ٢٢،١٤٢٨هـ.

[٢٣] العامري، ناصر.١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. *أوقف التدريب فوراً*. ط١، الرياض.

[٢٤] عبد الباري، طه.١٤١٢هـ. *أثر التشبيه في تصوير المعنى، قراءة في صحيح مسلم*، ط١.

[٢٥] العزاوي، نجم. ٢٠٠٦م. *التدريب الإداري*، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.

[٢٦] الفرجاني، عبدالعظيم عبدالسلام.١٤١٣هـ. *تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن والسنة*.ضمن أبحاث مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الازهر في الفترة ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٣هـ - ٢جمادى الأولى ١٤١٣ه،الموافق ٢٤-٢٩ أكتوبر١٩٩٢م.

[٢٧] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري.١٤١٢هـ. *صحيح مسلم*. ج٤،ط٤،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي. بيروت: لبنان.

[٢٨] النحلاوي، عبد الرحمن. ١٤١٧هـ. *أصول التربية الإسلامية وأساليبها*.ط٢، دار الفكر.دمشق: سوريا.

[٢٩] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدمشقي. ١٤٠٨هـ.*آداب العالِم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العِلْم*. ط١، راجعهُ وقدّم له: أبو حذيفة إبراهيم ابن محمد. دار الصحابة للتراث.طنطا: مصر.

[٣٠] الهاشمي، عبد الحميد.١٤٠٥هـ. *الرسول العربي المربي*، ط٢، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض: المملكة العربية السعودية.

[٣١] وزان، سراج محمد.١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.*التدريس في مدرسة النبوة*، سلسلة دعوة الحقّ، عدد رقم ١٣٢، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية.

[٣٢] ويلز، مايك. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.*إدارة عملية التدريب، وضع المبادئ موضع التنفيذ*. ترجمة: إدارة الترجمة بمركز البحوث بمعهد الإدارة العامة، راجع الترجمة: د. حنان بنت عبدالرحيم الأحمدي.

[٣٣] يالجن، مقداد. ١٤٢٥هـ.*أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون*، ط٢. دار عالم الكتب: الرياض.

Islamic Rooting for the Training Substrates

Dr. Ayesh bin Attiya bin Abdulmuttiy
Department of Training Courses
Umm Al Qura University

Abctract. Fruitful training is linked with an increase of quality, perfection and acquiring the information rapidly, and transfers experience in a fun way, it is useful, active and influential way among the trainees since a very longue time.

According to that, the Muslim nation has been keen through the centuries to train its members in various arts and areas, with whatever is compatible with its principles or against them, without criticism or scrutiny of the training goal, its objective or the manner and method by which it reached the result.

The current study addressed a range of important pillars associated with the training process and contributing to root them, such as:

1. Enabling environment for training.
2. Effective communication.
3. Re-emphasizing and follow-up.
4. Use of body language.
5. Taking advantage of available expertise.
6. Practice and practical application.
7. Use of teaching resources.

We used the descriptive, documentary method and the deductive approach, the substantial result of the study was as follows:

1. The Holy Quran and Sunnah are two main sources for reference and this valid for all areas of training and in all time.

2. The Messenger of Allah relied on training as an influencing means, which contributed to strengthen his blessed guidance, and applied in real life of his companions, Allah bless them, and then upon on Muslims till the day of judgment.

3. Training of the most important area that should be of interest the efforts of practitioners for Islamic rooting, because of its importance in this field, as well as the multiple evidences that support if from Quran and Sunnah.

Recommendations:

It is necessary to organize conferences to discuss the topic: rooting training, with the participation of competent authorities in the Islamic world.

Consolidation of training in both government and private institutions, and link it with everything that brings it closer to Quran and Sunnah.

Create scientific institutions for Islamic research to supervise the efforts for rooting sciences and classify them according to the science and the sector it serves, with the purpose to specialise and scientific cumulation and never waste the efforts made before in this respect.